كلية: الآداب

القسم أو الفرع: اللغة العربية

المرحلة: المرحلة الرابعة

أستاذ المادة:أ.م.د. فؤاد مطلب

اسم المادة باللغة العربية:الأدب المقارن

اسم المادة باللغة الإنكليزية: Comparative Literature

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: نشأة الأدب المقارن

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: Up pringing of Comparative Literature

محتوى المحاضرة الثالثة

نشأة الأدب المقارن

الأدب المقارن من العلوم الأدبيَّة الّتي ظهرت في العصر الحديث، واكتمل مفهومه في أوربّا، وصارت له أهمّيّة بين علوم الأدب. ومن الطبيعيّ أن تسبق المفهومات نظريّة الأدب المقارن، وهذا أمر طبيعيّ في العلوم المختلفة. فأقدم ظاهرة في الأدب المقارن هو ما أثَّر به الأدب اليونانيّ في الأدب الرومانيّ. ففي عام (146ق. م) انهزم اليونان أمام

الرومان؛ لكن سرعان ما أصبح الرومان تبعًا لليونان ثقافيًّا، وأدبيًّا؛ فلم يكن حينئذٍ للأدب اللاتينيّ(الرومانيّ) من أصالة تُذكر، يستقلّ بها عن الأدب اليونانيّ إلَّا في التأريخ، والخطابة.

وقد أثمر ذلك في عصر النهضة لدى النقّاد اللاتينيين نواة المحاكاة؛ أي: محاكاة اللّاتينيين لليونان، رغبةً في نهضة الأدب اللاتينيّ؛ وهذا معنًى آخرُ للمحاكاة، يختلف عن المحاكاة الّتي دعا إليها أرسطو، حينما بيَّنَ الصلة بين الفنّ والطبيعة. فللشاعر- عند نقاد الرومان- أن يحاكيَ العباقرة الّذين هم بدورهم قد حاكَوا الطبيعة. وفي هذا يقول هوراس(85-8 ق.م) "اتّبعوا أمثلة الإغريق، واعْكفوا على دراستها ليلًا، واعْكفوا على دراستها نهارًا". وقد وضع الناقد الروماني كانتيليان(96م) قواعدَ للمحاكاة، تتمثّل بالآتي بيانُهُ:

1-أنّ المحاكاة للأدباء مبدأ من مبادئ الفن لا غنًى عنه (أي: محاكاة اليونان).

2-أنّ المحاكاة تتطلّب مواهبَ خاصّة للكاتب الّذي يريد أنْ يحاكِيَ.

3-أنّ المحاكاة ينبغي لها ألّا تكونَ للكلمات، والعبارات بقدر ما هي لجوهر الأدب ومنهجه.

4-أنّ على مَن يحاكي اليونانيين أنْ يختارَ نماذجَ يتيسّر له محاكاتها، وأنْ تتو افر لهُ قوّة التمييز، والحكم بين الجيّد والرديء.

5-أنّ المحاكاة في ذاتها غير كافية، ويجب ألّا تعوقَ الشاعر، وألا تحول دون أصالته.

العصور الوسطى(1395- 1453م). في هذه العصور خضعت الآداب الأوربيّة المختلفة إلى عوامل مشتركة، وحّدت بعض اتّجاهاتها، ووثّقت علاقاتِها بعضها بعضًا. وكان لهذا التوحّد في ميدان الأدب مظهرانِ عامّانِ:

الأول: دينيّ: إذ كان رجالُ الدّين فيه هم المسيطرون؛ فكان منهم القرّاء، والكتّاب معًا. وتغلغل الروح المسيحيّة في ذلك النتاج الأدبيّ؛ فكانتِ اللّاتينيّةُ لغةَ العلم، والأدب، كما كانت لغة الكنيسة.

الثاني: فروسي: إذ توحّدت فيه معظم الآداب الأوربيّة في تلك العصور. وفي ظلّ هذين الاتّجاهين سار معظم الإنتاج الأدبيّ الأوربيّ في كَثرته الغالبة؛ ممّا أضفى عليه طابع العالميّة في اتّجاهه العامّ. وكان من الممكن-لذلك- أن يصبحَ مجالًا للدِّراسات المقارنة في البحث عن المؤثّرات العامّة التي وحّدت اتجاهاته. وكانت هذه المؤثرات دينيّة مسيحية، أو شرقيّة عربيّة. وقد تأخر بتلك الدراسة الزمن حتى العصور الحديثة.

وفي عصر النهضة(القرنين الخامس عشر والسادس عشر) اتّجهت الآداب الأوربيّة وجهة الآداب القديمة من اليونانيّة واللّاتينيّة، وكان للعرب فضل توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانيّة، بما قاموا به من ترجمات كتب فلاسفة اليونان، ولا سيّما أرسطو، فكانت الدّعوة إلى الرجوع لآداب اليونان والرومان، ومحاكاتهما بمنزلة ثورة فكريّة، في ذلك العصر على آداب العصور الوسطى ذات الطابع المسيحيّ.

ومِنَ النُقّاد الّذين عادوا إلى نظرية المحاكاة، الناقد والشاعر الفرنسي جان دورا Jean Dorat (1588م)، الّذي سلك في تلقين تلاميذه معنى نظريّة المحاكاة مسلكًا علميًّا مثمرًا. وقد أوضح لتلاميذه ما تَدينُ به اللّاتينيّة لليونانيّة؛ إذ بَقِيَتِ اللّاتينيّة خمسة قرون ولا أدبَ لها، ثمَّ ازدهر أدبُها على أثر اتّصاله بالأدب اليونانيّ؛ وكان يشرح لهم كيف كان "شيشرون" الرومانيّ(106ق.م- 43 ق. م) مَدينًا في خطابته لخطيب اليونان" ديموستين" وكيف تأثّر" فرجيل" اللّاتينيّ بشاعر اليونان" تيوكريت"، وكيف ألهم شاعر اليونان" بندراوس" "هوراس" في أشعاره اللّاتينيّة. وتُعَدُّ دراسات جان دورا على هذا النحو مِنْ أقدم ما عُرفَ عن الدّراسات المقارنة المثمرة.

القرنين السابع عشر والثامن عشر: يمثّلان العصر الكلاسيكي الّذي اتّخذت فيه الآداب القديمة المثال الذي يحتذى. فكانت مهمَّة الناقد أن يضع قواعد لمختلف الأجناس الأدبية، وأن يدعو الكتّاب للسير عليها، وأن يحكم على قيمة إنتاجهم بمبلغ اتباعهم القواعد. وعلى الرغم من تأثّر ذلك الأدب بالآداب القديمة إنتاجًا ونقدًا؛ إلّا أنَّ مهمة الناقد كانت الأبعد عن الاتجاه التأريخي، وعن البحث عن المنابع التي استقى منها الكاتب؛ إذ كانت غايتهم فنيّة عمليّة... وحين تأثَّر الأدب الفرنسي بآداب أخرى غير الآداب القديمة، كالأدب الإيطالي، والأسباني على سبيل المثال، وقد تعرّض بعض النُقّاد لدراسة تلك الصلات الأدبية الدولية.

وفي القرن الثامن عشر ظهرت عوامل تنشد الدراسات المقارنة؛ ولكن كلّ هذه العوامل لم تثمر ثمرتها المرجوَّة، لا في خلق تأريخ الأدب، ولا في نشأة الدّراسات في الأدب المقارن؛ لأنَّ أكثر مؤرخي الأدب- حتى نهاية القرن الثامن عشر- لم يتجاوزوا حدود سرد حياة المؤلّفين، وشرح نصوصهم، وإذا ما اتّسع أُفق ناقد مثل فولتير؛ فإنّ تحليله للنّصوص لا يتجاوز ميدان التأريخ، والحكم على النصّ.

القرن التاسع عشر: كان القرن التاسع عشر عهْدَ تقدُّمٍ ملحوظ في الناحية الاجتماعيّة؛ وفي البحوث العلميّة، والأدبيَّة. وتعرُّف الشعوب بعضها بعضًا؛ فكثُرت الأسفار، وتعدّدت التراجم للآثار الأدبيَّة لمختلف الدّول.